وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت/كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المادة : الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

عنوان المحاضرة :

مكانة الشعراء المخضرمين وعلاقة الشعر بالدين

أ.د محمد سعيد حسين مرعي

ms_husen@tu.edu.iq

1445هـ

2024م

مكانة الشعراء المخضرمين

لو عقدت مقارنة بين المخضرمين والإسلاميين، نجد أن المفاضلة ستكون لصالح الفئة الأولى، ولو قارنا بين الجاهليين وما بعدهم نجد الفضل يكون للجاهليين نظراً لقوة أشعارهم وبلاغتها، وخير دليل على ذلك معلقاتهم.

ويعلل محمد مهدي البصير سبب الحكم لصالح الجاهليين: (وسبب ضعف شعر المسلمين) فيما يأتي:

1. **إن الإسلام حرّم أكثر الأغراض الشعرية التي يجود بها الشعراء كالغزل الفاحش والهجاء المقذع والمديح المبالغ فيه، وهذه الموضوعات هي التي يسمو بها شعرهم على غيره.**
2. **يرى أن المخضرمين كلبيد وحسان والخنساء، عاشوا حقبة طويلة في الجاهلية، مما جعلهم يدخلون الإسلام وهم كبار السن، وهذا يعني أن عقولهم قد شاخت، مما يؤثر سلباً على طول نفسهم الشعري.**
3. **كذلك مسألة الانتحال: وهي موجودة في شعر صدر الإسلام وما بعده، كما وجدت في أشعار الجاهلية ولكن بصورة أقل، فلا غرابة أن نرى وضع الشعر على ألسنة المخضرمين، ودليل ذلك هو ما ذكره الأصمعي من تعليل ضعف أشعار حسان (أن أشعاراً وضعت لم تصح له) ولذلك أسباب أهمها: الدس ومحاولة النيل من قيمة الأشعار التي وضعت من قبل المدافعين عن المسلمين نظراً لمكانة حسان وشعره لدى المسلمين بعد أن صدّ عنهم هجاء المشركين وأذاهم.**

علاقة الشعر بالدين:

س) هل من الممكن اجتماع الشاعرية الفذة مع الإيمان العميق الراسخ؟

كمقدمة، نقول أن هناك مسألة شغلت الأدباء والمؤرخين وهي التزام الشعراء بدينهم، فهناك من يربط الدين بالشعر، وهناك من يبعد الشاعر عن دينه ويفصلهما، إذن فمسألة العلاقة بين الدين والشعر مختلف فيها.

يقال أن (الأديب ابن بيئته) ومعنى ذلك أن الشاعر الصادق يجب أن يصور ويعبر عن أحاسيس الناس الذين يعيشون معه من ألم وحزن وفرح، وكل الحالات التي تحيط بمجتمعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولذا يكون المعبر عن كل ذلك هو الشاعر الحق والشاعر الصادق، ولذا قيل: (الشعر مرآة الأمة).

ورداً على السؤال نقول: تقيد الشاعر بالدين يقلل من شاعريته، لذلك يقل الإبداع الفذ في شعر الشاعر الإسلامي.

وفريق آخر يقول: بعدم ضرورة الشعر إذا لم يعبر عن حالة المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأن الأنا الخالصة في أي شعر مرفوضة حيث إنّ الأحداث تفرض على الشاعر الالتزام بها وتؤثر على أفكاره وأفعاله.

نستمد من القرآن الكريم دليلاً على قولنا بعدم اجتماع الشاعرية مع التدين، ولو رجعنا إلى آية الشعراء لعلمنا أن الشعراء فيها مصدر الفساد: ﭽﮥﮦﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄﭼ، كما إنها تشير إلى أن أكثر الشعراء كاذبون (يقولون ما لا يفعلون).

والشق الآخر أو المضمون الآخر الذي يستمد من تنزيه الرسول عن الشاعرية هي اعتقاد الجاهليين وما بعدهم بفترة أن لكل شاعر شيطان يلهمه الشعر والذي يرتبط بالشياطين هو بالتأكيد غير مؤمن إيماناً عميقاً.

وجملة القول أن المرتبط بالكذب والشياطين لا يكون مؤمناً حقاً، فهذا دليل عدم ارتباطهما.

ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ:

لنقف عند هذه الآية، فمعناها واضح، إذ تنفي الشاعرية عن الرسول، ولكن بعض المصادر تقول بأن الرسول قال شعراً واستدلوا بذلك أن الرسول قال رجزاً من أجل بث الحماس عندما كان المسلمون يحفرون الخندق. ولكن ما قاله الرسول لم يكن شعراً لكنه كلام موزون فقط، كما أن نيته– صلى الله عليه وسلم– لم تكن موجهة إلى قول الشعر.

ولنقف عند قوله: (وما ينبغي له) ومعناه أن (لا يناسبه) أي أن الشعر لا يناسب الرسول لأن صفات الشاعر لا تتفق مع الإيمان الذي يتجسد في شخصية الرسول، بمعنى أن صفات الرسول تختلف تماماً عن صفات الشاعر الذي قد يقول شعراً ماجناً أو مقذعاً أو مؤذياً للناس، وهذا ما لا يليق بالرسول.

وهذه هي الآيات التي تدلل على صدق القول بعدم اجتماع الشاعرية مع التدين.

أكثر النقاد يقول أن طبيعة الخير لا تناسب الشعر، يقول الأصمعي: (الشعر نكدٌ بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف). ويقال اليوم: (أجود الشعر أكذبه، ومعنى ذلك أن المؤمن لا يمكن أن يكذب، لذا سيكون بعيداً عن الشاعرية الجيدة التي تحتاج إلى بعض الأكاذيب والأخيلة البعيدة في كثير من الأحيان عن الواقع.

ومسألة أخرى تتعلق بالشعراء، إذ عرف عنهم شذوذهم عن الأعراف والقوانين حتى حسان بن ثابت ألصقت به بعض ما يعيب المؤمن، كمشاركته في حديث الأفك، كما عرف بجبنه الذي لا يليق بالإنسان المؤمن، إذ يرفض أن يكون مضحياً في سبيل دينه.

س) ولكن لماذا هذا التناقض بين الشاعرية والتدين؟

ذلك يعود إلى أن نفسية الشاعر مضطربة خيالية غير واقعية، في حين أن الإسلام دين الاستقرار والواقعية، فإذا استقر الشعر في إنسان لم يكن مستقراً نفسياً.

ضياع شعر المشركين:

الباحث في أدب هذه الحقبة يلاقي صعوبة بالغة في دراسته لأنه قليل خاصة شعر المشركين، وسبب ذلك أن الرواة والمسلمين لا يحفظون الأشعار التي كانت تتعرض لهجاء الرسول، والمشركون كانت قصائدهم تحفل بالهجاء للإسلام والرسول والمسلمين، والمسلم لا يحفظ شعراً يهجو قومه ويتعرض لدينه.

فضلاً عن تشدد الخلفاء الراشدين في قول الأشعار، إذ لم يسمحوا بأن يقال أو يروى ما لا يرضاه الإسلام من شعر.

لذلك وجدنا شعر المسلمين وصل أكثر من شعر المشركين رغم أن الثاني كان أكثر، وعلى ذلك دلائل كثيرة.

توجه الشعراء نحو الدين ومدى فهمهم لأحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- في هذا المجال:

هناك علاقة وطيدة بين هذه التوجهات والشعراء.

احتدم الصراع بين المشركين والمسلمين، والرسول يعلم ما للشعر من قوة وأثر في القبائل والناس وما له من تأثير في النفس، وكان المشركون يفتخرون برفضهم للإسلام وتهجمهم على المسلمين، فكان الشاعر منهم يمثل وسيلة إعلام ناجحة، وكان الناس يمتثلون لأقوال الشعراء، ولذلك حث الرسول شعراء المسلمين على الرد على المشركين. وللرسول أحاديث كثيرة توجه الشعراء نحو الشعر الذي ينصر الإسلام والمسلمين (وهي مذكورة سابقاً).

ولما كان الشاعر يحاول بشعره نشر الدعوة والرد على أعدائها، فهو بذلك يتجه نحو الدين وينحو منحى دينياً في شعره.

وكان الشعراء يفهمون موقف الرسول حتى من سكوته والتفاتاته وإشارته كموقف الرسول من قول النابغة الجعدي (علونا السماء ....).

ولما هجا عبد الله بن رواحة قبيلة الرسول (قريش) وجعلهم أثمان العباءة لاحظ عدم ارتياح الرسول حتى أدى به ذلك إلى أن يمدح قريش من جديد.

وموقف الرسول مع حسان والزبرقان في عام الوفود تؤكد التوجه الديني لحسان. وقد كان الرسول قد وضع منبراً لحسان في مسجده، مما يعني التقدير الذي كان يحظى به شعره لأنه يعلم تأثير الشعر الذي يقوله حسان وهو بالتأكيد شعر إسلامي يدافع عن المسلمين والإسلام والرسول- صلى الله عليه وسلم- لبعث الحماس في نفوس المسلمين وتشجيعهم وليكون سلاحاً آخر مع المسلمين يردون به على المشركين.

كما أن الرسول كان يغير بعض الألفاظ الشعرية كتغييره للفظة (سيوف الهند) إلى (سيوف الله) في قول كعب بن زهير (مهندٌ من سيوف الهندِ مسلولُ).

كما أن الخلفاء من بعد الرسول حثوا الشعراء على الوجهة الدينية وعاقبوا من يتخطى حده في قول الشعر.

وبرزت الوجهة الدينية في المعارك والغزوات، فإذا كان نصراً كما في بدر افتخروا بنصرهم ومبادئ دينهم، وإذا كان نصراً للمشركين كما في أُحُد نجد الرثاء في أشعارهم لشهداء الإسلام.

وهذه بعضالأبيات التي تدلل الوجهة الدينية لشعراء هذه الحقبة:

- **يقول حسان متحدياً أبا سفيان بن الحارث:**

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاكَ الجزاءُ
فإن أبي ووالده وعرضـــي لعرض محمدٍ منكم وقاءُ

فهو يدافع عن الرسول ويجعل عرضه دون الرسول.

- **يقول كعب بن مالك في يوم أُحُد:**

فجئنا إلى موجٍ من البحرِ وسطِه أحابيشُ[1] منهم حاسرٌ[2] ومقنعُ
ثلاثةُ آلاف ونحن نصبـــــــــيةٌ ثلاثُ مئين إن كثرنا وأربـــــعُ

إذ نراه يدافع ويفخر بالمسلمين رغم قلتهم.

- **يقول عبد الله بن رواحة هاجياً قريش:**

نجالدُ الناسَ عن عرض[3] فنأسرهم فينا النبيُّ وفينا تنزَّل السُّـــــــــورُ
وقد علمتم بأنا ليس غالبنـــــــــا حيٌّ من الناس أن عزُّوا وإن كثروا

---

[1]) أحابيش: جماعة من قريش تحالفوا ضد المسلمين.
[2]) حاسر: مكشوف الرأس.
[3]) عرض: ناحية.

إذ يفخر بوجهة دينية بأن مهما كثر عدد المشركين وعزهم فهم خاسرون، لأن الله مع المسلمين.